انفجار نهر تنجوسكا

محمود سالم

انفجار نهر تنجوسكا

تأليف
محمود سالم

هنـــداوي

انفجار نهر تنجوسكا

محمود سالم

الناشر مؤسسة هنداوي
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شييت ستريت، وندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة
تليفون: ٨٣٢٥٢٢ ١٧٥٣ (٠) ٤٤ +
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: https://www.hindawi.org

إنَّ مؤسسة هنداوي غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وإنما يعبِّر الكتاب عن آراء مؤلفه.

تصميم الغلاف: وجدان توفيق

الترقيم الدولي: ٥ ٢٥٨٤ ٥٢٧٣ ١ ٩٧٨

صدر هذا الكتاب عام ١٩٧٩.
صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠٢٢.

جميع حقوق النشر الخاصة بتصميم هذا الكتاب وتصميم الغلاف محفوظة لمؤسسة هنداوي.
جميع حقوق النشر الخاصة بنص العمل الأصلي محفوظة لأسرة السيد الأستاذ محمود سالم.

المحتويات

من هم الشياطين الـ «١٣»؟	٧
أبطال هذه القصة	٩
انفجار في نهر متجمِّد!	١١
هل تبدأ المغامرة من هنا؟	١٧
الطيران مباشرةً إلى هناك!	٢٣
صراع فوق نهر «تنجوسكا»!	٢٩
انفجار جبل الثلج!	٣٥

من هم الشياطين الـ«١٣»؟

إنهم ١٣ فتًى وفتاةً في مثل عمرك، كلٌّ منهم يُمثِّل بلدًا عربيًّا. إنهم يقفون في وجه المؤامرات الموجَّهة إلى الوطن العربي ... تمرَّنوا في منطقة الكهف السِّري التي لا يعرفها أحد ... أجادوا فنون القتال ... استخدام المسدسات ... الخناجر ... الكاراتيه ... وهم جميعًا يُجيدون عدة لغات.

وفي كل مغامرةٍ يشترك خمسة أو ستة من الشياطين معًا ... تحت قيادة زعيمهم الغامض رقم «صفر» الذي لم يرَه أحد، ولا يعرف حقيقته أحد.

وأحداث مغامراتهم تدور في كل البلاد العربية ... وستجد نفسك معهم مهما كان بلدك في الوطن العربي الكبير.

أبطال هذه القصة

رقم «١»: «أحمد» من مصر.

رقم «٢»: «عثمان» من السودان.

رقم «٣»: «إلهام» من لبنان.

رقم «٤»: «هدى» من المغرب.

رقم «٥»: «بو عمير» من الجزائر.

رقم «٦»: «مصباح» من ليبيا.

رقم «٧»: «زبيدة» من تونس.

رقم «٨»: «فهد» من سوريا.

رقم «٩»: «خالد» من الكويت.

رقم «١٠»: «ريما» من الأردن.

رقم «١١»: «قيس» من السعودية.

رقم «١٢»: «باسم» من فلسطين.

رقم «١٣»: «رشيد» من العراق.

رقم «صفر»: الزعيم الغامض الذي لا يعرف حقيقته أحد!

انفجار في نهر متجمِّد!

كانت الشمس تلمع بشدةٍ، فوق رمال الصحراء المُمتدة حتى نهاية البصر، وتعكس أشعتها القوية على النافذة الزجاجية العريضة التي يقف خلفها الشياطين. كانوا قد وصلوا إلى المقر السري منذ ساعاتٍ، بعد أن جاءتهم رسالةٌ عاجلةٌ من رقم «صفر» تدعوهم إلى اجتماعٍ «هامٍّ» ... كانوا جميعًا يفكرون فيما سوف يسمعونه من رقم «صفر».

ألقى «باسم» نفسه على كرسيٍّ كبيرٍ قريبٍ، وأغمض عينيه، واستسلم لحرارة الشمس. نظرت «إلهام» في اتجاهه، إنها تعرف أن «باسم» يهوى حمَّامات الشمس، ولا يكاد يرى لحظةً مشمسةً، حتى يستسلم لها تمامًا. نظر «بو عمير» إلى الشياطين وقال: إن الجو يُغري بالنوم. ولم يُعلق أحد من الشياطين، ومرَّت فترةٌ قالت بعدها «زبيدة»: لا تتعجل. سوف تنام كثيرًا ...

دقَّ جرسٌ متقطعٌ، جعل «باسم» يفتح عينيه، ويقفز من على الكرسي، في نفس الوقت الذي بدأ فيه الشياطين يتحركون بسرعةٍ. قالت «زبيدة»: تستطيع أن تنام الآن أيها العزيز «بو عمير».

ابتسم الشياطين، وهم يسرعون، إنَّ الجرس المتقطع كان يعني أنهم في الطريق إلى قاعة الاجتماع.

ما إن دخلوا الممرَّ الطويل المؤدِّي إلى القاعة، حتى لمع ضوءٌ مُبهر، جعلهم جميعًا يُخفون أعينهم ... كان الضوء مُفاجئًا، وكأنه ضربةٌ من مكانٍ مجهولٍ، غير أن الضوء لم يستغرق نصف دقيقة، ثم عاد الضوء العادي. توقَّف الشياطين لحظةً ينظرون إلى بعضهم، وسألت «إلهام»: ضوءٌ غريبٌ، تُرى من أين أتى؟ ...

لم يُجب أحد من الشياطين، ودقَّ الجرس المتقطع مرة أخرى، فانتبهوا وأسرعُوا في اتجاه القاعة.

لم يكد يدخل أول الشياطين، حتى لمع الضوء من جديدٍ، توقف الشياطين. كانت المسألة مُثيرةً، ومُدهشةً في نفس الوقت. لم يستغرق الضوء أيضًا أكثر من عدة ثوانٍ ... التقت أعين الشياطين، لكن أحدًا منهم لم يَنطِق بكلمةٍ، وأخذوا طريقهم إلى كراسي الاجتماع، كانت الدهشة تُسيطر عليهم. قال «رشيد» فيما يشبه الهمس: إنها ظاهرةٌ غريبةٌ! ...

مصباح: المحير هو مصدر الضوء ...

عثمان: ربما يكون انعكاس أشعة الشمس على جسمٍ مصقولٍ!

ريما: لكننا بعيدون الآن عن أي مصدرٍ خارجيٍّ للضوء. إنها مسألةٌ غريبةٌ ومثيرةٌ جدًّا!

صمت الشياطين؛ فقد بدءوا يسمعون صوت أقدام رقم «صفر» تقترب. تركَّزت أعينهم على مصدر الصوت الذي سوف يأتيهم بعد قليل. فجأة، لمعت الشاشة المعلَّقة أمامهم، ثم ظهرت فوقها صورة لمساحات واسعة من الثلوج. كانت أقدام رقم «صفر» لا تزال تقترب، في نفس اللحظة التي ظهر ضوء قوي على الشاشة، يُماثِل الضوء الذي هاجم أبصارهم منذ لحظات. ظل يدور فوق الثلوج ثمَّ سقط فيها، واختفى. ابتسم بعض الشياطين، وكان البعض الآخر يُفكر في هذه الصورة التي ظهرت على الشاشة، في اللحظة التي توقَّفت فيها أقدام رقم «صفر» ثم جاء صوته الهادئ: أهلًا بكم في اجتماعنا اليوم.

صمت رقم «صفر»، ركَّز الشياطين أسماعهم. لقد بدأت لحظات المغامرة، قال رقم «صفر»: إننا أمام ظاهرةٍ غريبةٍ، ولعلَّكم قرأتُم في الفترة الأخيرة عن الأطباق الطائرة التي ظهرت في «الكويت» أكثر من مرةٍ ثم اختفت!

نظر الشياطين إلى «خالد» الذي نظر إليهم في حيرة. قطَع رقم «صفر» نظراتهم إلى «خالد»، قائلًا: إنها ظاهرة من نفس النوع، وإذا كانت ظاهرة الأطباق الطائرة ... تعتبر جديدة في «الكويت»، فإن الظاهرة، التي سأُحدِّثُكم عنها ... لها تاريخ ...

سمع الشياطين أوراقًا تُقلَّب، وكأن رقم «صفر» سيقرأ تقريرًا. طالت لحظة الصمت، وتوقَّف صوت تقليب الأوراق، ثم أخيرًا جاء صوت رقم «صفر»: إن عمر هذه الظاهرة، حوالي سبعين عامًا؛ فقد ظهرت أول مرةٍ عام ١٩٠٨م، عندما شهدت أوروبا حدثًا غريبًا استمرَّ طوال النهار، وحتى مُنتصَف الليل.

وواصل رقم «صفر» كلامه: منذ ٧٠ عامًا، انفجر في منطقة سيبريا في روسيا، جسمٌ فضائيٌّ غامضٌ. كان ذلك في ٣٠ يونيو عام ١٩٠٨م وقد شعر سكان أوروبا يومَها بظاهِرة غريبة، لقد امتدَّ النهار وظلَّ إلى مُنتصَف الليل. وتحرَّكت أجهزة الرصد في العالم كله، تسجل موجة قوية شديدة اجتاحت الكرة الأرضية بأكملها.

توقف رقم «صفر» عن الكلام، وسمع الشياطين، صوت الأوراق، ثم تابع رقم «صفر» حديثه: لقد شاهد الناس في ذلك اليوم جسمًا ناريًّا يهوي من السماء، أعقبه رعدٌ وانفجارٌ مروِّعٌ، وتصاعدَت ألسنة اللهب والدخان، في منطقةٍ مأهولةٍ بالغابات، وسجَّلت أجهزة الرصد أصواتًا غريبة غير معروفةٍ، ولقد غطَّت هذه الظاهرة مساحة تصل إلى ٢٢٠٠ كيلومتر. وبرغم وقوعها في «سيبريا»، إلا أن أوروبا كلها قد شهدت هذه الظاهرة.

صمت رقم «صفر» قليلًا، فتغيرت الصورة على الشاشة، وظهرت مكانها صورة أخرى كانت صورة «سيبريا» وقد خرج منها سهم أزرق انطلَق مُسرعًا يحيط بمنطقة واسعة من «سيبريا» بخط متقطع. هذه إذن المنطقة التي حدثَت فيها تلك الظاهرة القديمة.

عاد صوت رقم «صفر» يقول: هذه هي المنطقة التي حدثَت فيها الظاهرة، ولقد كانت هناك تفسيراتٌ كثيرةٌ لها ...

توقَّف صوت رقم «صفر» عن الكلام، ثم قال أخيرًا: إنني أستعرض لكم تاريخًا قديمًا للظاهرة التي حدثَت لأنها عادت مرةً أخرى في منطقةٍ أخرى، حول نهر «تنجوسكا» أيضًا وإن كانت هذه المرة مختلفة تمامًا عن المرات السابقة، ولكن يحسن بنا أن نعرفها من البداية.

سمع الشياطين صوت تقليب الأوراق، ثم قال رقم «صفر»: في عام ١٩٤٦م، فسر العلماء ما حدث، بأنه تعطُّل سفينة فضائية هوت، ثم اصطدمت بالأرض، واحترقت فأحدثت هذه الظاهرة الغريبة، وفي عام ١٩٤٨م، ظهر تفسير آخر يقول إن سبب الحادث، هو سقوط كتلة مشتعلة من كوكب غامض.

ابتعدت أقدام رقم «صفر» حتى اختفت تمامًا. كان الشياطين في حالة صمتٍ ينظرون إلى خريطة «سيبريا» وإلى المنطقة التي حدث فيها الانفجار بالتحديد. لمعت نقطةٌ حمراء، ثم بدأت تتمدد لتتحول إلى كلمةٍ واضحةٍ. كانت الكلمة المكتوبة فوق نهرٍ رفيعٍ يمرُّ وسط الثلوج وكان اسم النهر «تنجوسكا». قالت «إلهام»: أظن أن هذا النهر مُمتلئ بالماء الآن بعد أن أذاب الانفجار ثلوج «سيبريا»! ...

ابتسم «أحمد» وقال: لا تنسَ أن الانفجار حدث منذ سبعين عامًا ...

خالد: إنها متجمِّدة!

إلهام: لكن بعضها لا تزال المياه تجري فيه، خصوصًا تحت السطح الثلجي.

بو عمير: هذا صحيحٌ.

بدأ صوت أقدام رقم «صفر» يقترب عائدًا فصمت الشياطين ... ثم جاء صوت رقم «صفر»: إنها رسالةٌ من عميلٍ في «أوروبا» يقول إن هناك تعليلًا جديدًا لظاهرة الانفجار،

تُؤكِّد أن ما حدث كان نتيجة احتراق سفينة فضاء من كوكبٍ بعيدٍ عنَّا فوق المنطقة المنكوبة في «سيبريا» ... توقَّف رقم «صفر» قليلًا ... ثم قال: إنني أردت فقط أن أضع أمامكم ظاهرةً قديمةً، وإن كانت آثارها لا تزال موجودةً حتى الآن. فلا تزال البعثات العلمية تزُور منطقة نهر «تنجوسكا»، التي حدثت فيها الانفجارات، للتوصُّل إلى أسباب هذه الظاهرة ... اختفت الخريطة ثم ظهرت خريطة أخرى للعالم، وقال رقم «صفر»: يقولون إن هذه الظاهرة واحدة من حرب الأقمار الصناعية، وقالوا إنها واحدة من حرب الأطباق الطائرة، بين أمريكا والاتحاد السوفييتي، بوصفهما أكبر دولتين في العالم وقد يكون هذا صحيحًا، لكنه حدث في أماكن متفرقةٍ من العالم، خارج أمريكا، والاتحاد السوفييتي، لقد ظهرت أطباق في بلادٍ مختلفة. وحدثت هذه الانفجارات مؤخَّرًا، وأظن أنكم عرفتم ظهور الأطباق الطائرة في الكويت. لقد اهتم العالم بهذا، وأخذ يُتابع ظهور الطبق الطائر الذي نزل أكثر من مرةٍ بجوار منابع البترول هناك. صمت رقم «صفر» قليلًا، وكان الشياطين قد تحولوا إلى حالة تركيزٍ شديدة. إنهم الآن سوف يعرفون ما هو المطلوب، أخيرًا ... تحدث رقم «صفر»: ولكن ما حدث شيء، وانفجار «تنجوسكا» ... شيء آخر. قد يكون الانفجار الأول، مسألة لا تزال تحتاج إلى بحث. ذلك أنه عندما حدث ما حدث لم يكن العلم قد توصل إلى اكتشافاته الرهيبة الحالية بعد، لم يكن الإنسان قد وصل إلى القمر، ولم تكن الأطباق الطائرة قد ظهرت، ولم تكن حرارة الشمس تُستخدم في التدفئة الصناعية أو غيرها.

جاءت دقاتٌ هادئةٌ سريعةٌ، جعلت رقم «صفر» يقول: هناك رسالةٌ عاجلة ...

ابتعدت أقدام رقم «صفر» بسرعةٍ، وظل الشياطين في أماكنهم لا يتحركون. كانت أذهانهم تعمل بسرعةٍ للتكهن بشيءٍ مفيدٍ. قال «فهد»: إنها ستكون مغامرة مثيرة.

ضحك «رشيد» وقال: مغامرة تحت الصفر.

ضحك الشياطين للتعليق الذكي الذي قاله «رشيد» ولم تمضِ دقائق حتى جاء صوت أقدام رقم «صفر» مسرعًا هذه المرة، وعندما توقفت خطواته قال: لقد حدث انفجارٌ آخر في المنطقة القديمة، منطقة نهر «تنجوسكا». إنها مسألةٌ لافتةٌ للنظر أن يتكرَّر الانفجار في نفس المنطقة أكثر من مرة، والمطلوب منكم على وجه السرعة معرفة سر هذه الانفجارات، ونحن في انتظار تقارير من عملائنا في كل أنحاء العالم، سأوافيكم بها أولًا بأولٍ ...

وصمت رقم «صفر»، وعرف الشياطين أنه يتلقَّى رسالةً عاجلةً.

وأخيرًا قال: آخر التقارير تقول: إنها عصابةٌ جديدةٌ اسمها «النجوم العشرة» وهي تعمل للسيطرة على العالم، وهي تُجرِّب أسلحةً جديدةً رهيبةً، وقد اختارت منطقة «سيبريا» ميدانًا لتجاربها.

توقف رقم «صفر» قليلًا ثم قال: إنَّ عملاءنا في العالم قد أرسلوا لنا عدة تقارير عن هؤلاء «النجوم العشرة» وسوف تجدون هذه التقارير في حجراتكم فورًا ...

لم يَنطِق أحد من الشياطين، ظلوا صامتين. كانت التقارير هي الشيء الهام الذي يُريدونه الآن. وظل رقم «صفر» صامتًا في انتظار أن يسأل أحدهم أي سؤالٍ ... وفي النهاية قال: لقد وقع الاختيار على مجموعةٍ للتحرك مبدئيًّا. «أحمد» و«رشيد» و«إلهام» و«فهد» و«قيس»، والآن هيَّا ... أتمنى لكم التوفيق.

وعندما تحركوا من مقاعدهم كان الشياطين الذين وقع عليهم الاختيار، ينظُرون إلى بعضهم، لقد بدأت المغامرة.

هل تبدأ المغامرة من هنا؟

تحركت الأبواب الصخرية الضخمة دون صوتٍ، فانطلقت سيارة الشياطين تأخذ طريقها إلى خارج المقر السري. كانت الشمس لا تزال فوق رمال الصحراء، وكان الجو صيفًا، غير أن الشياطين لم يشعروا بالحر؛ لأن السيارة مكيَّفةٌ ... كانت خطة الرحيل هي الوصول إلى «موسكو» أولًا. ولذلك فقد اتجه الشياطين مباشرةً إلى «القاهرة» ... ومن هناك إلى «روما»، ثم «باريس» و«لندن» ... ثم إلى «موسكو».

كانت السيارة تنطلق بسرعةٍ رهيبةٍ حيث يجلس «قيس» إلى عجلة القيادة. لم يكن هناك وقت؛ فقد كانت خطة الشياطين هي الوصول بسرعةٍ إلى «سيبريا» والهجوم على عصابة «النجوم العشرة» في صراع النهاية، وكان «أحمد» قد أخرج التقرير الذي أُعدَّ بواسطة أجهزة المقر، وبدأ يقرأ المعلومات عن العصابة الجديدة ...

كان التقرير يقول: إنَّ عصابة «النجوم العشرة» تكوَّنت عند نهاية الحرب العالمية الثانية حوالي عام ١٩٤٥م، وهي تضمُّ مجموعة من جنسياتٍ مختلفةٍ، معظمهم من السياسيين ورجال الحرب والعلماء. وهي تُجري تجاربها لاختراع جهاز جديد للسيطرة على العالم، ومُعظَم هؤلاء من الذين اشتركوا في الحرب العالمية؛ أي إنهم جميعًا يعرفون فنون الحرب جيدًا، و«النجوم العشرة» لهم أتباع في معظم بلاد العالم.

كانت عينا «أحمد» تجري فوق الكلمات، بينما صوته الهادئ يقرأ للشياطين ما في التقرير ... توقف «أحمد» عن القراءة قليلًا، ثم قال: هذا يعني أن «النجوم العشرة» كلهم مُتقدمون في السن ... إن أصغر واحد فيهم قد اقترب من الستين ...

لم ينطق أحد من الشياطين مباشرةً ... لقد كانت كلمات «أحمد» تجعلهم يعيدون حساباتهم بسرعةٍ.

قال «رشيد»: هذا يعني أن الصراع سيكون صراع العقول وليس صراع العضلات!

قالت «إلهام» وكأنما تفكر في شيء آخر: إنه صراع قوة في النهاية.

أحمد: إن صراع العضلات ضروري أيضًا؛ فالنجوم العشرة لهم أتباع ... وحولهم حراس أقوياء.

لم ينطق أحد، كان كلٌّ منهم يفكِّر، غير أن «أحمد» قد عاد إلى القراءة، فقطع صمتهم مكملًا القراءة: ولقد حدثت ظواهر غير طبيعيةٍ، جعلت تجاربهم تلفت النظر فقط من الناحية العلمية، وليس من الناحية العسكرية، أو السياسية ... وربما كان السبب في ذلك أنهم اختاروا نفس المنطقة التي حدثت فيها انفجارات مُتتابعة، قبل انفجار «تنجوسكا» ... إنهم يعرفون أن العلماء، أو غيرهم من رجال السياسة والحرب لن يلتفتوا إلى هذه الانفجارات قبل مدةٍ طويلة، عندما تهدأ، ولهذا فإنهم يقومون بسلسلة تجارب متتابعة.

قطع «قيس» صوت «أحمد» وهو يسأل: ولماذا لا يُراقبون هذه الانفجارات وقت حدوثها؟

قال «أحمد»: إنَّ الانفجارات تترك خلفها، وربما لمدة طويلة إشعاعات تؤثر بالتأكيد. ولذلك، فهم يُعطون فرصةً أطول ... فقد تنتهي هذه الإشعاعات، أو ينتهي تأثيرها القاتل غالبًا ...

صمت الجميع قليلًا، ثم قالت «إلهام»: نسمع بقية التقرير.

كانت السيارة لا تزال في انطلاقها، وكانت الأشياء تختفي حولهم بسرعةٍ نتيجة السرعة المتزايدة، وبدأ «أحمد» يقرأ التقرير: إن عملاءنا في العالم قد استطاعوا التوصل إلى معرفة بعض أفراد عصابة «النجوم العشرة».

التفت الشياطين إلى «أحمد» عندما قرأ الجملة الأخيرة، إنه في النهاية سوف يقدم لهم مفتاحًا للمُغامرة. إن «سيبريا» منطقة شاسعة تمامًا، بالإضافة إلى البرودة الشديدة فيها، ورغم أنهم قد جهزوا أنفسهم لذلك، إلا أن البحث داخل منطقة مثل هذه، مع وجود الإشعاعات التي تحدَّث عنها «أحمد» يجعل المسألة أكثر تعقيدًا.

ابتسم «أحمد» لالتفاتتهم، ثم أخذ يقرأ بقية التقرير. قرأ «أحمد»: إن عملاءنا لم يتوصَّلوا بعد إلى رئيس عصابة «النجوم العشرة»، إلا أنهم توصَّلوا إلى معلوماتٍ عن البعض منهم؛ مثل: «كوبناخ» وهو رجلُ حربٍ ألماني الجنسية، كان قائدًا لإحدى فرق «هتلر» على الجبهة الروسية خلال الحرب العالمية الثانية، حادُّ النظرات، أزرق العينين، في الخامسة والخمسين، قوي البِنية، صامت معظم الوقت، أصيب في ساقه اليُمنى إصابة مباشرة جعلته يعرج قليلًا، يدخن السيجار، وتبدو العصبية في طريقة تدخينه.

صمت «أحمد» قليلًا، كان الشياطين يسمعونه في تركيز شديد، حتى إنَّ «أحمد» أراد أن يداعبهم، فصمت لفترة طويلة جعلت «إلهام» تقول: ماذا حدث؟

ابتسم «أحمد» وهو ينظر إليها، ثم قال: لا شيء، إنِّي فقط أعطيكم فرصة استيعاب التقرير، فأنتم تعرفون أننا سوف نتخلَّص منه ... قبل الوصول إلى «القاهرة».

لم يردَّ أحد من الشياطين، فبدأ «أحمد» يقرأ بقية التقرير: الثاني هو «ماريوتي» ... إيطاليُّ الجنسية، يكبر «كوبناخ» بعامٍ أو عامين، سمين قليلًا، تبدو الطيبة على ملامحه، وإن كان أكثرهم دهاءً ... اشترك في قوات «موسوليني» خلال الحرب العالمية الثانية على الجبهة الليبية، أَسرَتْه قوات الحلفاء عندما اجتاحت شمال أفريقيا عند نهاية الحرب، لا يحب «كوبناخ» وإن كان يُعجَب به، غزير الشعر، ويلبس نظارة طبية، وعندما يخلعها لا يُميِّز الأشياء.

كانت السيارة قد اقتربت من «القاهرة» ... فنظر «أحمد» من زجاج السيارة، وقال: لقد وصلنا بسرعة.

صمت قليلًا، ثم قال: إنَّ التقرير قد أوشك على النهاية، فلم يَعُد هناك سوى واحد فقط شمله التقرير.

نظر إلى «قيس» ثم قال: يجب أن تُبطئ السرعة قليلًا، حتى نَنتهي من قراءة التقرير، وحتى نستطيع أن نتخلَّص منه، قبل دخولنا العاصمة.

أبطأ «قيس» سرعة السيارة، وأخذ «أحمد» يُكمل بقية التقرير: الثالث الذي توصل إليه عملاؤنا هو «شولونوف» ... روسي الجنسية، أصغر الثلاثة عمرًا، اشترك ضد قوات الغزو النازي خلال الحرب عندما حوصرت مدينة «ستالنجراد» حصارها المشهور، فقَد عينه اليسرى خلال الحرب، ولذلك فهو يلبس نظارة سوداء دائمًا، يميل إلى السمنة، وإلى القصر في نفس الوقت حتى إنه ليبدو كالدب.

توقف «أحمد» عن القراءة، ثم نظر إليهم وقال: انتهى التقرير. ثم أشار لـ «قيس» فتوقَّف، وأخرج آلَةً صغيرةً، ثم ضغط عليها فانطلقت منها شرارةٌ كهربيةٌ، أمسك بورق التقرير فأشعله، وفتح زجاج النافذة ثم ظلَّ ممسكًا بالأوراق حتى احترقت تمامًا، وطار رمادها في الهواء ... أغلق زجاج النافذة فانطلق «قيس» بالسيارة، وكان الشياطين في حالة صمتٍ تامةٍ ... ولم تمضِ دقائق حتى ظهرت «القاهرة».

استغرق الشياطين في مراقبة الشوارع بينما «قيس» يأخذ طريقه إلى المقر السري للشياطين، بعد قليل كان الشياطين يُغادرون السيارة إلى المقر، وعندما استقرُّوا داخله قال «أحمد»: نحن في حاجة إلى حجز تذاكر السفر إلى «روما».

وقفت «إلهام» ثم «فهد» وقالت «إلهام»: أنا و«فهد» نذهب للانتهاء منها.

خرج الاثنان بسرعةٍ، وجلس بقية الشياطين في اجتماعٍ صغيرٍ، كان «أحمد» قد أحضر خريطة للعالم، وبسَطَها أمامه، وجلس «رشيد» و«قيس» في مواجهته، وكان الاثنان يَجريان بأعينهما على تفاصيل الخريطة، وأمسك «أحمد» بقلمٍ ثم أخذ يُشير عليها قائلًا: من هنا نبدأ الطيران عبر هذه المطارات. وكان يتوقَّف في كل محطة ... «روما»، «باريس»، «لندن»، «موسكو».

قال «رشيد»: قد نضطر للمبيت ليلة أو ليلتين في كل محطة حسب ظروف الطيران.

قيس: لا بأس. فقد يكون مفيدًا بالنسبة لنا ... فالمؤكد أن عصابة «النجوم العشرة»، ليست محددةً في مكان واحدٍ، المؤكد أنها تغطِّي العالم كله.

ظل «أحمد» يمرُّ بطرف القلم على الخطوط الحمراء المتعرجة التي تبيِّن المواصلات الخارجة من «موسكو»، وتتبَّع «رشيد» سير القلم، وهو يتجه إلى نهر «تنجوسكا» في شمال «سيبريا»، ثم قال: إنها مسافةٌ طويلةٌ، أتمنى أن تكون عليها خطوط طيران.

أشار «أحمد» إلى خطوط المواصلات، وتوقف عند كل محطة، ثم قال: هذه هي المحطات الرئيسية في سفرنا إلى منطقة نهر «تنجوسكا». كانت المحطات هي: «جووكي» ... «كورجان» ... «أسك» ... «براستك» ... «كيزما» ... «تورا» ... والمدينة الأخيرة هي التي تقع على النهر.

قال «قيس»: أظن أن درجة الحرارة سوف تكون منخفضةً تمامًا عند نهر «تنجوسكا».

رفع «أحمد» يده ثم أدار مسمارًا في ساعة يده، وقال: إنَّ درجة الحرارة هناك لا تقل عن خمسين درجة تحت الصفر، وإن درجة الحرارة عندنا الآن ٣٣ و٣ شرط.

رشيد: ينبغي أن نطمئن على أجهزة التدفئة التي نحملها، وإلا فإننا سنتجمد تمامًا.

ضحك «أحمد» وقال: وقد نكون نهائيًّا.

دق جرس الباب ثم فُتح، وظهرت «إلهام» وخلفها «فهد»، وكانت تبدو سعيدة تمامًا، ووجهها يتلون بلون أحمر، يجعلها أكثر جمالًا.

قالت «إلهام»: على الشياطين أن يستعدُّوا فورًا.

قفز «رشيد»: سنطير بعد نصف ساعة.

ضحكت «إلهام» وقالت: نعم ... نصف ساعة فقط.

رشيد: ألم أقل لكم؟

ضحك «فهد» وقال: لكنها يا عزيزي ... نصف ساعة ... بعد منتصف الليل.

ضحك الشياطين ونظر «أحمد» في ساعة يده وقال: الساعة ما زالت الثامنة، لا بأس ما زال أمامنا وقتٌ طويلُ، نستطيع أن نتناول عشاءنا في الخارج. ثم نأخذ طريقنا بهدوءٍ إلى المطار.

تحرك الشياطين يُجهِّزون أشياءهم، ثم أخذوا طريقهم إلى السيارة، فأخذ كلٌّ منهم مكانه.

وقال «قيس»: إلى أين؟

إلهام: أتمنَّى أن آكل «كبابًا» و«كفتة» في الحسين.

فانطلق «قيس» في الطريق إلى حي الحسين، الذي يشتهر بهذه الأكلة الطيبة.

وكان حيُّ «الحسين» يزدحم بالناس في هذه الساعة من بداية الليل ... وفي الهواء الرقيق الذي يُلامس الوجوه، جلس الشياطين يتناولون أكلتهم المفضلة، وعندما انتهوا منها. انتقلوا إلى مقهى «الفيشاوي» المشهور في الحي، حيث تناولوا الشاي الأخضر. وكان المارة من كل الجنسيات التي تزور حي «الحسين»، لما فيه من آثار دينية، وتعلَّق سؤال في خاطر «أحمد»: ترى هل تبدأ المغامرة من هنا، ويظهر أحد أفراد عصابة «النجوم العشرة»؟

الطيران مباشرةً إلى هناك!

كانت عينا «أحمد» تُراقب المارة جميعًا، وكانت تتجمع في رأسه تفاصيل هؤلاء الثلاثة الذين تحدَّث عنهم تقرير رقم «صفر» «كوبناخ»، «ماريوتي»، و«شولونوف» أعضاء عصابة «النجوم العشرة». في نفس الوقت كان بقية الشياطين يشربون الشاي، وأعينهم تراقب المارة ... فجأة ... ظهرت الدهشة على وجه «إلهام» وقالت بصوت هامس: انظروا، إنَّ هذا الرجل يُشبه «كوبناخ».

التفت الشياطين إلى نفس الاتجاه الذي كانت تنظر إليه «إلهام»، إلَّا «أحمد» الذي كان مُستغرقًا تمامًا في خواطره، فمدَّ «قيس» يده ثم هزَّ «أحمد» في هدوءٍ. نظر إليه «أحمد» فوجد الشياطين جميعًا ينظرون في اتجاهٍ واحدٍ، ونظر في نفس الاتجاه، ثم علت الدهشة وجهه، وهمس: هل يمكن أن يكون هو؟

كان الرجل يكاد يختفي بين المارة، وهو يعرج قليلًا، وكانت نفس الملامح التي ذكرها التقرير تنطبق على هذا الرجل. قال «أحمد» هامسًا: يجب أن تتبعه «إلهام».

قامت «إلهام» بسرعةٍ واتجهت إلى الرجل، حتى إذا اقتربت منه أبطأت في سيرها ... ثم تبعتْه. دخل الرجل في شارع جانبي ضيق ثم اختفى، فاختفت «إلهام» وراءه. وقف «أحمد» وأخذ طريقه خلفهما بسرعة حتى اختفى هو الآخر. قال «رشيد»: لو كان هو «كوبناخ» فإننا نكون سعداء الحظ تمامًا، إنه يُمكن أن يوفِّر علينا كل الجهد.

صمت الشياطين قليلًا، حتى قال «قيس»: لكن ما الذي يجعل «كوبناخ» يأتي إلى هُنا، إنني أستبعد ذلك تمامًا ...

لم يردَّ «فهد» و«رشيد»، وظلوا جميعًا في انتظار عودة «أحمد» أو «إلهام»، وطال الوقت، ولم يعد أحد منهما. بدأ الشياطين يشعرون بالقلق، وقف «رشيد» وقال: سوف أتبعهما.

فهد: قد لا تجدهما. إنَّ الصواب أن ننتظرهما ... فقد يحدث شيء ...

ظلت أعين الشياطين معلَّقة بالشارع الضيق، وكان الناس يتناقصون ويبدو ميدان الحسين خاليًا إلا من القليل ... نظر «فهد» في ساعته وقال: إنَّ الوقت يمر ... وموعد الطائرة يقترب.

نظر «قيس» في ساعته هو الآخر، ولم يُعلِّق بشيءٍ، حدثت جلبة في الميدان وتجمَّع عدد من الناس، واقترب من الجميع أحد رجال الشرطة، لفتت الحركة نظر الشياطين، وقال «رشيد»: ترى ... ماذا حدث؟

فهد: لا داعي لأن نفعل شيئًا الآن.

رشيد: قد يكون «أحمد» أو «إلهام» بينهم. صمت الجميع قليلًا. لحظة ثم وقف «قيس» واتجه إلى التجمع، وظل «رشيد» و«فهد» يراقبانه حتى اختفى بين الناس، ثم شعرَ الاثنان بالقلق، هل يعني هذا أن يتفرَّقوا والوقت يمر بسرعة؟ لحظات ثم ظهرت «إلهام» وظهر بجوارها «أحمد»، وكان الاثنان يبتسمان، فابتسم «رشيد» وقال: لا يبدو أن هناك شيئًا بالمرة.

فهد: لماذا قلت ذلك؟

رشيد: لأنهما يسيران متمهلين، لو كان «كوبناخ» لتغيَّرت حركتهما.

اقترب «أحمد» و«إلهام»، وظهرت الدهشة على وجه «أحمد» وسألهما: أين «قيس»؟

فهد: أين «كوبناخ»؟

أحمد: ليس هو، إنه رجلٌ مصريٌّ عاديٌّ، ولكن استغراقنا في المغامرة جعلنا نتخيَّل أخيرًا أنه «كوبناخ».

أخيرًا، ظهر «قيس» في خطواتٍ سريعةٍ، وعندما اقترب منهما قال: لا شيء، إنه خلافٌ عاديٌّ.

نظر «أحمد» في ساعته ثم قال: ينبغي أن نَنصرف حالًا. إن موعد الطائرة يقترب. ووقف الشياطين واتجهوا إلى السيارة فأخذوا أماكنهم فيها، فجلس «رشيد» أمام عجلة القيادة، وعندما أغلقوا أبوابها انطلق في هدوء.

كانت الشوارع تبدو هادئة تمامًا؛ فعدد المارة قليلٌ، وعدد السيارات قليل أيضًا، اتخذ «رشيد» طريقه إلى مطار «القاهرة» الدولي في هدوء الليل وصمتِه، ولم يستغرق الطريق وقتًا طويلًا، حتى وصلوا إلى هناك.

بسرعةٍ أنهوا إجراءاتهم. وأصبحوا في انتظار قيام الطائرات. لم تمض لحظات حتى جاء صوت مذيعة المطار تدعو الركاب المسافرين إلى «روما»، للتوجه إلى الطائرة، وعندما

استقرُّوا في أماكنهم كانت الطائرة قد استعدت للقيام. لحظات ثم بدأ تحرك الطائرة، ولم يكن يُسمع سوى صوت اهتزاز الطائرة ثم استوائها في الجو.

كان الركاب قد استسلموا للنوم، بينما الموسيقى الهادئة تغمر فراغ الطائرة، وبعد ساعتين كانوا قد وصلوا إلى مطار «روما». كان الليل يخيم على كل شيء، غير أن حركة الطائرة النشطة جعلته مثل بقعة الضوء ... وعندما استقروا في صالة المطار، قال «أحمد»: ينبغي أن نعرف موعد قيام الطائرات إلى «باريس».

أسرع «قيس» بالتحرُّك إلى حيث مكتب «أيرفرانس» ولم يَغِب «قيس» كثيرًا وعاد مسرعًا ووجهه يتهلَّل فرحًا وقال: يُمكن أن نُكمل رحلتنا إلى «باريس» فورًا. هناك طائرةٌ مسافرة بعد ساعة ومن حُسن حظِّنا أنني وجدت أماكن لنا ...

شعر الشياطين بالنشاط، وتحركوا إلى حيث تقف طائرة «أيرفرانس» وكان «قيس» قد قام بكل الإجراءات المطلوبة، وعندما استقروا في الطائرة، قالت «إلهام»: هل يُمكِن أن نجد طائرة في انتظارنا في مطار «أورلي» لتأخذنا إلى «لندن» فورًا؟

ابتسم الشياطين وقال «رشيد»: مَن يَدري؟! قد نكون محظوظين. وكان استمرارهم في الطيران، باعثًا للراحة لهم؛ فإن أحدًا منهم لم يستسلم للنوم. قال «فهد»: إن الرحلة الحقيقية ستكون داخل «روسيا» للوصول من «موسكو» إلى «تورا» ...

رشيد: إنها ليست رحلةً للنزهة، إنها رحلةٌ للعمل ... ابتسم «فهد» وقال: إنني أفهم ذلك، غير أنني لم أجرِّب قبل ذلك كيف تكون الحياة وسط جليد «سيبريا».

قيس: إنني سعيد أن أذهب إلى أماكن لم أرَها من قبل. إن الصراع فوق الجليد، سوف يكون له وقع مختلف. وظل الشياطين في حوار مُسلٍّ قطع الوقت سريعًا ولم يدروا أن الطائرة لحظتها كانت تُحلق فوق مطار «أورلي». وكان ضوء النهار قد بدأ ينتشر عندما هبطت الطائرة في مطار «أورلي» الضخم بباريس ونظرت «إلهام» إلى «أحمد» مبتسمةً وقالت: هل نستقلُّ طائرةً أخرى؟

عندما أصبحوا في صالة المطار أخذ «أحمد» طريقه إلى مكتب «شركة الطيران البريطانية»، ووقف الشياطين يَنتظرون عودته، قال «فهد»: سوف أقع من الضحك إذا كانت هناك طائرةٌ متجهةٌ إلى «لندن» الآن. لم يكد يفرغ من كلامه حتى رأى «أحمد» يعود مسرعًا وهو يبتسم ابتسامةً عريضة، فقالت «إلهام»: يبدو أنك سوف تقع فورًا يا عزيزي «فهد».

قال «أحمد»: هيَّا بسرعةٍ، هناك طائرةٌ في طريقها إلى «لندن» فورًا، وقد تخلَّف راكبان، وهناك ثلاثة مقاعد أخرى خالية.

غرق «فهد» في الضحك حتى إنه لم يستطع أن يتحرك من مكانه، غير أن الشياطين لم ينتظروه، فاضطر أن يلحق بهم جريًا.

احتوتهم الطائرة، وحلَّقت في طريقها إلى مطار «لندن» وعندما نزلوا هناك، كادوا جميعًا ينطقون جملة واحدة: فورًا ... إلى «موسكو».

قال لهم موظف شركة الطيران: إنَّ أول طائرة تقوم إلى «موسكو»، أمامها خمس ساعات، فكان أمامهم إما النزول إلى «لندن» وإما قضاء الساعات الخمس في المطار، وقفوا قليلًا يناقشون الموقف غير أن شيئًا ما لفَت نظرهم.

كانت هناك مجموعة من الركاب يَلبسون ملابس ثقيلةً تمامًا، جعلت «إلهام» تقول: يبدو أنهم متَّجهون مثلنا إلى «موسكو» ...

نظر الشياطين إلى المجموعة قليلًا، ثم قال «فهد»: ليس من الضروري أن يكونوا كذلك؛ فالملابس ليست هي الدليل ...

استقرَّ رأيهم على أن يظلوا بالمطار، إن خمس ساعات يُمكن أن تنقضي سريعًا خصوصًا إذا تجولوا في سوق المطار، كما أن ذلك يُعطيهم فرصةً لمراقبة الركاب.

أخذوا طريقهم إلى مجموعةٍ متقاربةٍ من المقاعد، وعندما جلسوا شرد «أحمد» لحظة جعلت الشياطين ينظرون إليه، وسأله «رشيد»: ماذا هناك؟ لم ينطق «أحمد» فقد ظهر الاهتمام على وجهه، كان يبدو أنه في حالة تركيزٍ شديدةٍ، فهم الشياطين الموقف، كان «أحمد» يتلقى رسالة شفرية من رقم «صفر»، كانت الرسالة تقول: من رقم «صفر» إلى «ش. ك. س» هناك مجموعة في طريقها إلى «موسكو»، إنهم بعض قادة المجموعات المنتشرة في العالم.

توقفت الرسالة الشفرية التي كان «أحمد» يترجمها مباشرةً، وكانت الرسالة تأتي عن طريق تيار كهربائي دافئ، مُتقطِّع، ما كاد ينقل الرسالة إلى الشياطين حتى جاءت رسالة أخرى: من رقم «صفر» إلى «ش. ك. س» ... العلامة «ت». ردَّ «أحمد» على الرسالة بسرعةٍ: من «ش. ك. س» إلى رقم «صفر» ... عُلم.

نقل «أحمد» الرسالة إلى الشياطين، قال «فهد»: هذه بدايةٌ طيبةٌ ... إن علينا أن نقوم بجولة في المطار حتى موعد قيام الطائرة. قال «أحمد»: من المُمكن أن نفعل ذلك، فلا تزال أمامنا ساعاتٌ طويلةٌ، اللقاء هنا بعد ساعتين.

أخذ كل من الشياطين اتجاهًا مختلفًا في أنحاء المطار الكبير. ومرَّت الساعتان ثم بدأ ظهورهم في اتجاه نفس المقاعد، التي كان قد احتلها بعض المسافرين والتقوا مبتعدين

قليلًا. لم يكن أحد منهم قد قابل شيئًا مثيرًا أو مفيدًا، فوقفوا صامتين يتطلعون إلى حركة المطار التي بدأت تزداد، وكان الوقت يمرُّ بطيئًا حتى أخذوا يتململون في وقفتهم، أخيرًا سمعوا صوت المذيعة الداخلية للمطار تطلب من ركاب الطائرة المتجهة إلى «موسكو» أن يتجهوا إلى الطائرة، فعلت وجوههم تعبيرات الراحة.

أخذوا أماكنهم في الطائرة التي بدأت طيرانها فورًا. وعندما انتصف الليل، كانت الطائرة تهبط في مطار «موسكو»، كان المطار كبيرًا لافتًا للنظر. توقَّف الشياطين ينظرون من خلال الألواح الزجاجية السميكة، إلى الثلوج التي تنزل في شكلٍ ممتعٍ. ثم أخذوا طريقهم إلى خارج المطار.

ما إن أصبحوا في الخارج حتى شعروا ببرودة شديدة. قال «أحمد»: يجب استخدام أجهزة التدفئة ... سريعًا. فضغط كل من الشياطين زرًّا خاصًّا في ملابسه، فاندفعت موجة دافئة تدفئ الجسم، فقد كان كل منهم يحمل جهازًا دقيقًا داخل ملابسه لمثل هذه الظروف.

استقلُّوا «تاكسيًا» وسألوا السائق عن مطار الطائرات الداخلية، وبعد ساعة كان التاكسي يقف أمام مطارٍ ضخمٍ، وقال: هذا هو. أخذوا طريقهم إلى مكتب استعلامات المطار الذي أخبرهم أنه لا يوجد مطار في بلدة «تورا» ولكنهم يستطيعون ركوب الطائرة إلى مدينة «جوركي» ومنها يركبون طائرةً أخرى إلى مدينة «براتسك»، ومن هناك يأخذون القطار إلى «كيزما» ثم إلى «تورا»!

كانت الرحلة مُمتعة؛ فقد كانوا يَطيرُون فوق مساحات بيضاء شاسعة، وكانت الثلوج تُغطِّي كل شيء، وعندما وصلوا إلى مدينة «جوركي» ركبوا طائرة أخرى كما قال لهم موظف الاستعلامات، ثم اتجهوا إلى مدينة «براتسك»، وبعدها بدأت رحلة المتاعب بالقطار من «براتسك» إلى «كيزما» فقد كانت درجة الحرارة مُنخفِضةً تمامًا. لم يكن يظهر من زجاج القطار شيءٌ. كان الثلج يُغطِّي حتى زجاج القطار، وتوقَّف القطار في «كيزما» وقتًا قليلًا، ثم بدأ رحيله إلى آخر محطةٍ ... إلى «تورا».

كاد القطار يكون خاليًا إلا من بعض الركَّاب القليلين، واستغرق الشياطين في الصمت، كان كل منهم يُفكِّر في المساحات البيضاء الواسعة التي سوف ينزلون فيها. فجأة ... سمعوا حديثًا خافتًا بين اثنين من الركاب. كان الحديث يدور حول انفجار منذ أسابيع قليلة مضَت عند نهر «تنجوسكا»، وأخرج «أحمد» جهازًا صغيرًا، ثم بدأ يستمع إلى حديث الركاب! كان الحديث يصله بوضوح فعرف أن العلماء قد اهتموا بالانفجار، وهذا ما أكده عليهم رقم «صفر» في الاجتماع، فقد نشرت الصحف كثيرًا عن تكرار الانفجار على مدار سنواتٍ بعيدةٍ،

وعرف أن السلطات تمنع أيَّ مخلوقٍ غير الباحثين والعلماء من الاقتراب من منطقة النهر، التي تحولت إلى حفرياتٍ عميقةٍ نتيجة الانفجارات المتعدِّدة.

لكن فجأة، أمسك الشياطين أنفسهم، لقد التقى اثنان من ركاب القطار في ممره الطويل، ورسم كل منهما إشارة جعلت الصرخات تكاد تَنطلِق من شفاه الشياطين ...

صراع فوق نهر «تنجوسكا»!

لقد رسم الرجل الأول علامة حرف «ت»، رفع كف يدِه ثمَّ قاطع معه الكف الأخرى، فجاءت العلامة واضحةً، وردَّ عليه الرجل الأخر بنفس الحركة، نظر الشياطين إلى بعضهم ثم ابتسموا، إذن لقد بدأ الصراع. ابتعد الرجلان حتى اختفَيا، ولم يتحرَّك أحد من الشياطين، إنهم يَعرفون أن الرجلين سينزلان في آخر محطةٍ لأن القطار لا يقف قبل بلدة «تورا». استسلم الشياطين لهزات القطار الذي كان يندفع في سرعة وعندما بدأ القطار يُهدئ السرعة، استعدُّوا سريعًا حتى يكونوا على رصيف المحطة قبل أن ينزل الرجلان. وعندما توقف القطار أسرعوا بالنزول وتجمعوا تحت المظلة الحديدة العريضة اتِّقاءً للمطر، الذي كان ينزل بشدةٍ تتخلَّله حباتٌ كبيرة من الثلج، يرنُّ صوتها فوق أرض المحطة، وفوق المظلَّة الحديدية. ورغم أن القطار أبطل الماكينة، ورغم أن الركاب القليلين الذين كانوا فيه قد نزلوا منه، إلا أن الرجلين لم يظهَرا. طال انتظار الشياطين للرجلين إلا أن أحدًا منهما لم يظهر، فنظرت «إلهام» إلى «أحمد» في دهشة وقالت: لا أظن أن القطار قد توقَّف في الطريق، ولم يُهدئ حتى من سرعتِه! ... هز «أحمد» رأسه ثم قال: من الضروري أن نتوقع كل شيءٍ.

تحرك الشياطين إلى موظَّف المحطة وسألوه عن أقرب فندق من المحطَّة. أشار لهم الرجل على مبنًى قديم، يقع أمام المحطة مباشرةً، فأخذوا طريقهم إليه، وطلبوا حجرةً واحدةً. نظر لهم موظف الفندق قليلًا، ثم قال: إن لديَّ حجرةً بها ثماني أسرَّة، يمكن أن تحتلوا خمسة منها.

أحمد: سوف ندفع إيجارها كاملةً.

صحبهم الرجل إلى حجرةٍ قديمةٍ متَّسعة ثم تركهم واختفى. فجلس الشياطين قليلًا في صمت، ثم قال «أحمد»: يجب أن نتحرك بسرعةٍ.

فهد: هل نخرج الآن؟

فكر «أحمد» قليلًا ثم أخرج خريطة صغيرة، بسطها أمام الشياطين وبدأ يتحدث: هذه هي المنطقة التي نحن فيها الآن. هذه هي إذن بلدة «تورا»، وهذا هو نهر «تنجوسكا»، لكن لا يبدو أن هناك مواصلات إلى النهر، إنه يبتعد عنَّا قليلًا، لكننا لا نستطيع أن نصل إليه سيرًا.

ظلَّ الشياطين يستمعون إلى «أحمد» في صمتٍ، أخيرًا قال «رشيد»: أعتقد أن موظف الفندق يُمكنُ أن يدلَّنا.

أحمد: سوف أترككُم لحظةً أتحدَّث فيها إلى الرجل، وخرج «أحمد» من الحجرة إلى حيث الرجل الذي كان يدخِّن غليونًا، له رائحةٌ نفَّاذة، اقترب منه «أحمد» وحيَّاه ثم سأله: إننا نريد الوصول إلى نهر «تنجوسكا» كيف ذلك؟

نظر له الرجل طويلًا ثم قال: إنها منطقةٌ ممنوع فيها الزيارات الآن، نظرًا للانفجارات التي تَحدُث ...

أحمد: أعتقد أن هناك طريقة ما للوصول ...

ضحك الرجل في خشونة، ثم قال: ما دمت تعرف، فلماذا تسألني؟

ابتسم «أحمد» مفكِّرًا ثم قال: ألا يوجد دليل يصاحب الزوَّار في هذه المنطقة؟

الرجل: إنك ذكيٌّ، نعم يوجد، ويُمكن أن نؤجِّر لك زحافةً أو اثنتين لأنكم لا تستطيعون السير فوق الجليد.

أحمد: هذا شيءٌ طيبٌ.

الرجل: غير أنه يتقاضى أجرًا مُرتفعًا.

أحمد: لا يهمُّ.

غادر الرجل مكانه ثم خرج، وأخذ «أحمد» يتفحَّص المكان، ولم يَغِب الرجل طويلًا فقد عاد وخلفه رجل ضخم الجسم، تبدو عليه الشراسة، وقال رجلُ الفندق: ها هو «بروسكي» المرشد وصاحب الزحافات.

أحمد: أهلًا بك ... هل يُمكن أن نتَّفق؟ فنظر له «بروسكي» طويلًا، ثم قال: أنت وحدك؟

أحمد: لا ... إن معي أصدقائي.

بروسكي: ولماذا تُريدون الذهاب إلى هذه المنطقة الخطرة؟

ابتسم «أحمد» وقال: إننا نقوم بعمل دراساتٍ عن المنطقة.

هزَّ «بروسكي» رأسه، ثم قال: متى تتحرَّكون؟

أحمد: لو تحركنا الآن متى نستطيع أن نعود؟

ردَّ «بروسكي»: وقتما تُريدون، إننا سوف نسلك طريقًا مجهولًا حتى لا نقع في أيدي أحد.

هز «أحمد» رأسه وقال: هل أنت جاهِز الآن؟

بروسكي: طبعًا.

أحمد: لحظة واحدة أحضر الأصدقاء.

انصرف «أحمد» إلى الشياطين الذين كانوا في انتظاره وقال: هيَّا بسرعةٍ.

تبعوه جميعًا إلى حيث يوجد «بروسكي» الذي صحبهم إلى الخارج، وهو يقول: إن ملابسكم خفيفةٌ، والبرد شديد، بالإضافة إلى أن الثلج لا يتوقف عن النزول.

صمت لحظةً ثم قال: إنني أستطيع أن أؤجر لكم ملابس مخصوصة لهذا الجو.

بعد خطواتٍ قليلةٍ قال: انتظروني أمام هذا المبنى، سوف أُحضِر الزحافات حالًا.

وقف الشياطين ينتظرون، وكان الثلج يسقط بقوةٍ، وبرغم برودة الجو الشديدة إلا أن الشياطين لم يكونوا يشعرون بالبرد. لحظات ثم سمعوا صوت عجلات قادمة ونباح كلاب ثم ظهرت أول زحافة يجرها عدد من الكلاب، ثم ظهرت الزحافة الثانية والثالثة. ابتسم الشياطين فهذه أول مرة يركبُون فيها هذه المواصلة، واقترب «بروسكي» وقال: هيَّا للركوب كل اثنين في واحدةٍ. صمت قليلًا ثم قال: مَن الذي يركب بجواري؟

تقدَّم «أحمد» بسرعةٍ وقفز في أول زحافة، فقال «بروسكي»: كل اثنين يركبان زحافة ثم اتبعوني.

وقفز «بروسكي» برشاقةٍ رغم جسمه الضخم، وقفز «قيس» و«إلهام» في زحافةٍ، وقفز «فهد» و«رشيد» في الزحافة الثالثة، ثم بدأت الرحلة كانت كل زحافةٍ مُغطَّاةٍ بغطاء من المعدن الرقيق حتى تَحمي الركاب من الثلج المُتساقط، ولم ير الشياطين شيئًا، سوى مساحات اللون الأبيض الممتدة إلى ما لا نهاية. لم يكن يفصل كل زحافة عن الأخرى سوى مسافة صغيرة، لم يمض وقت، حتى خرجت الزحافات من بلدة «تورا» وأصبحت بين جبال من الثلج، حينئذ تردَّد صوت، جعل الشياطين يُركِّزون آذانهم لسماع ماذا يقول، غير أن الصوت كان يتحدَّث بلهجةٍ غير مفهومةٍ، وعندما تلاشى الصوت صاح «بروسكي» بصوته الخشن صيحةً ارتفع صداها في الفضاء وكأنها كانت تَصطدِم بمُرتفعات الثلج الموجودة، وشعر الشياطين أن شيئًا غير طبيعيٍّ سوف يحدث، وفكر «أحمد» بسرعةٍ، إنَّ أحدًا لا يعرف عنَّا شيئًا وهذه الصيحات أشعر أن لها معنًى شريرًا، ترى ماذا هناك؟ ...

ضغط «أحمد» جهاز الشفرة ثم أرسل رسالة إلى زملائه: «من ش. ك. س» كونوا على استعداد، يبدو أننا سوف نُلاقي شيئًا ... وبسرعة جاءه رد زحافة «قيس» و«إلهام»: من «ش. ك. س» إلى «ش. ك. س» نحن على استعداد، إننا نظن ذلك أيضًا. وبعدها جاءت رسالة زحافة «رشيد» و«فهد».

أصبح كل شيءٍ صامتًا الآن، كان الشياطين يترقَّبون أية حركةٍ يمكن أن تحدث، ونزلت أول زحافةٍ على منحدرٍ ثلجيٍّ وصاح «بروسكي»: خذوا حذركم إن المنحدر شديد. ظلت الزحافات تنزل في بطءٍ حتى تجاوزت المنحنى، وفجأة ظهر بين الجبلين رجلٌ لم تكن تظهر تفاصيله تمامًا، فقد كان يلبس ملابس تكاد تغطِّيه، اقترب من الزحافات، وقبل أن ينطق بكلمةٍ شهقت «إلهام»، توقفت الزحافات واقترب منها الرجل قائلًا: هل أنتم الذين كنتم في القطار؟ إنني أشكُّ فيكم ... ثم ترك «إلهام» واتجه إلى «أحمد» الذي استقبله قائلًا: إننا مُهتمون بظاهرة الانفجارات.

ضحك الرجل في خشونةٍ وقال: إنكم تنتمون إلى إحدى المنظمات. ونظر إلى «بروسكي» وتحدث إليه بتلك اللغة الغريبة، وضحك «بروسكي» وانطلق بالزحافة تتبعه الزحافتان. ارتفعت سرعة زحافة «بروسكي» حتى أن «أحمد» سأله: لماذا هذه السرعة؟ لم يرد. حينئذ ضرب الكلاب بسوطه ضربةً جعلها تجري كأنها تهرب، وكانت كلاب الزحافتين الخلفيتين تجري تبعًا لجري الكلاب الأمامية.

مضت نصف ساعة وهم بين جبال الثلج، لا يرون شيئًا، تردَّد صوت آدمي بين الجبال الثلجية، فبدأ «بروسكي» في إبطاء السرعة، وظلت السرعة تبطئ شيئًا فشيئًا حتى توقفت. في النهاية قال «أحمد» وهو يحاول أن يبدو هادئًا: هل لا يزال نهر «تنجوسكا» بعيدًا؟

نظر إليه «بروسكي» بخشونة وقال: إننا الآن فوق تنجوسكا.

ظهرت الدهشة على وجه «أحمد»، لم تكن دهشة حقيقية، لقد كان يريد أن يخدع «بروسكي»، قال: هل ننزل إذن؟

ضحك «بروسكي» ضحكته الخشنة ثم قال: نعم، ولكنكم سوف تنزلون في السجن.

أحمد: ماذا تقول ... سجن ... أي سجنٍ؟

بروسكي: هذه أوامر.

نزل «بروسكي» من الزحافة وقال: هيا انزلوا.

كانوا يقفون أمام جبل ثلجي تبدو فيه فتحة جانبية، وفكَّر «أحمد» قليلًا، ثم قال: هل سندخل هنا؟

مضى «بروسكي» في اتجاه الجبل دون أن يردَّ، نزل «أحمد» بسرعةٍ ثم اتجه نحوه قائلًا: سيد «بروسكي»، هل يُمكن أن أعرف بالضبط ماذا حدث؟

بروسكي: لا تسألني، هذه أوامر.

أحمد: أوامر من؟

بروسكي: أوامره.

اقترب «أحمد» أكثر، كان يُبدي ودًّا لـ «بروسكي» ثم قال: هل يمكن أن أقابله؟

نظر له «بروسكي» في حدةٍ، ثم قال: إنك كثير الكلام»، ثم رفع يده وهوى بها على وجه «أحمد»، الذي تفادى الضربة، ثم عاجله بضربةٍ قويةٍ، جعلته يئنُّ، إلا أن «بروسكي» تماسك وعاجله «أحمد» بضربةٍ قويةٍ أخرى جعلته يطير في الهواء في اتجاه فتحة الجبل، في نفس اللحظة كان الشياطين قد تحركوا، وطار «فهد» في الهواء ثم ضرب «بروسكي» ضربةً قويةً جعلته يقفز برشاقة ليستقبله ويضربه ضربة عكسية جعلته يترنح ثم يهوي على الأرض، كان «أحمد» قد وقف على قدميه ودماء قليلة تسيل من فمه.

جرت «إلهام» نحوه وأخذت تضمد له الجرح، وتمسح الدم وكان «بروسكي» يئنُّ وهو ملقى على الأرض، قال «رشيد»: إننا لا نعرف جغرافية المكان.

قيس: لا يهم، المهم الآن أن نعرف أين هم؟ لم يكد «قيس» ينطق بكلمته حتى ظهرت مجموعة من الرجال، وقفوا ينظرون إلى الشياطين في سخريةٍ، قال واحد منهم: خدعوك يا «بروسكي»، لا بأس إن الدببة يمكن أن تتناولهم طعامًا شهيًّا».

نزل الرجال في نفس اللحظة التي تجمَّع فيها الشياطين، كانت كرات الثلج تتدحرج تحت أقدام الرجال وهم ينزلون من فوق الجبل الثلجي، كانوا يبدون كأنهم صنعوا من الثلج أيضًا. كانت كرات الثلج تبدأ صغيرة ومع دورانها تكبر، وتكبر حتى تصبح في حجم صخرة كبيرة وكان الشياطين يتفادون نزول كرات الثلج التي كانت تنزل مندفعةً بفعل الانحدار الجبلي!

وقف الشياطين محاصرون، كان الرجال يقتربون، أحصاهم «أحمد»، كانوا ثمانية فقال في نفسه: «إنهم مجموعةٌ كبيرةٌ لكن لا يهمُّ ...

نظر إلى بقية الشياطين وقال: ما رأيكم؟

فهد: إنها فرصة العمر.

رشيد: إننا نواجه مغامرةً رائعةً.

ابتسم «أحمد»، لكن الابتسامة لم تكتمل، فقد ظهر في فتحة الجبل ما لم يخطر لهم ببال!

انفجار جبل الثلج!

تراجع «فهد» قليلًا ثم وقف خلف «أحمد» بينما بقية الشياطين ينظرون إلى تلك الكتلة البيضاء التي تتقدم خارجة من باب الفتحة ... كان دبًّا ضخمًا ... أبيض اللون، تبدو عليه الشراسة، ما إن تجاوز فتحة الجبل، حتى اندفع كالسهم في اتجاه الشياطين. كان الرجال الثمانية قد توقفوا ينظرون إلى ما سوف يحدث ... أخرج «فهد» مسدسه ثم أطلق إبرة مخدرة في اتجاه الدب، توقف الدب قليلًا، ثم سقط على الأرض ... همس «أحمد»: رائع يا فهد ... ظهرت الدهشة على وجوه الرجال، وبدءوا ينزلون في حذرٍ، وتوقفت أيديهم فوق مسدساتهم المعلقة في أحزمتهم، نظر «أحمد» حواليه بطرف عينيه، ثم قال: يجب أن نتحرك لنأخذ لنا ساترًا ...

انزلقت قدم أحد الرجال، فنزل زحفًا وصاح الرجال حوله ... كانت هناك فتحة أسفل الجبل، تفصل نزول الرجال عن موقف الشياطين، وكانت هذه فرصةٌ يجب استغلالها ... قفز «أحمد» بسرعةٍ إلى أقرب مرتفع ثلجي، وتبعه الشياطين في نفس اللحظة، رنت طلقة مرت بجوار «قيس» الذي ألقى بنفسه على الأرض الثلجية. ثم صمت كل شيء. همس «أحمد»: يجب أن نتفرق، حتى نستطيع الحركة أكثر ...

اتجه «أحمد» إلى اليمين هو و«فهد» و«إلهام». واتجه «رشيد» و«قيس» إلى اليسار ... كانت المجموعتان تدوران حول المرتفع الثلجي، اختفت كل مجموعةٍ عن الأخرى، وأخرج «أحمد» خنجره ثم غرزه في الثلج، وبدأ يصعد المرتفع في هدوءٍ، وبواسطة الإشارات، قال لـ «فهد» و«إلهام»: «انتظرا أسفل ولا تتحركا، إلا إذا دعت الحاجة» ... وظل يصعد المرتفع حتى أصبح عند قمته، فرأى الرجال الثمانية يتحركون من مكانهم أسفل الجبل الثلجي. وكان اتجاههم ناحية المجموعة الأخرى التي تضم «رشيد» و«قيس»، فأرسل إليها رسالة عاجلة: من «ش. ك. س» إلى «ش. ك. س» الرجال يتَّجهون إليكما.

مرت لحظات ثم جاءته رسالة: من «ش. ك. س» إلى «ش. ك. س» إنهم أمامنا الآن.

أرسل إليهما رسالةً: من «ش. ك. س» إلى «ش. ك. س» اشتبكا معهم.

نزل بسرعةٍ، ثم دار حول المرتفع، وخلفه «إلهام» و«فهد».

شاهد الرجال يتحدَّثون، وقد أخرج أحدهم جهازًا لا سلكيًّا، ثم بدأ يتحدث، فأخرج جهازه، ووجه موجته لتلتقط الرسالة التي سيُرسلونها، وسمع نداءً: إلى مقر القيادة. هناك عصابةٌ ... هل تسمعُني إلى مقر القيادة.

فكر «أحمد» بسرعة، وضغط زرًّا في الجهاز، فأحدث تشويشًا وبدأ يسمع كلماتهم، قال واحد منهم: هناك تشويش على الجهاز.

قال آخر: سوف أستخدم جهازي وأُغيِّر الموجة.

بدأ الآخر يتكلم، غير أن «أحمد» غيَّر موجة الجهاز، ثم أخي يستمع. كان يُريد أن يحدد الموجة التي يُرسل عليها الرجل، حتى يستطيع تحديد مكان القيادة ... وقبل أن يُرسل الرجل إشارة مفهومة، أحدث تشويشًا على الجهاز، جعل الرجل يصرخ، ثم ضرب الجهاز في الأرض. لحظة، ثم دوَّى انفجار ... رأى «أحمد» قطع الثلج تتناثر حول الرجال، ثم تلقَّى رسالة من مجموعة «رشيد»: من «ش. ك. س» إلى «ش. ك. س» لقد بدأنا الاشتباك.

ردَّ «أحمد» بسرعةٍ: لا بأس. لم يكد «أحمد» ينتهي من رسالته، حتى سمع صرخةً بجواره، نظر خلفه، كان «بروسكي» مكومًا على الأرض ... قال «فهد»: لا شيء، لقد فاجأنا، وأخذ نصيبه منَّا ... قال «أحمد»: يجب أن نحاصر الرجال بالقنابل ثم نتجه إلى مقر القيادة، إنه غير بعيد عن هنا، والزحافات لا تزال موجودة.

أخرجوا عددًا من القنابل، ثم أرسل رسالة إلى مجموعة «رشيد»: من «ش. ك. س» إلى «ش. ك. س» استعدَّا سوف نُلقي بالقنابل معًا، عندما أعدُّ ثلاثة تلقيان القنابل.

جاءه الردُّ: من «ش. ك. س» إلى «ش. ك. س» ... عُلم.

عدَّ «أحمد»: واحد. اثنان. ثلاثة ... ثم ألقوا جميعًا القنابل. دوَّى انفجارٌ قويٌّ هزَّ الصمت، وارتفعت قطع الثلوج كأنها مطرٌ أرضيٌّ ... نظر «أحمد» في اتجاه الرجال، فلم يرَ أحدًا ... أرسل رسالة إلى «رشيد»: من «ش. ك. س» إلى «ش. ك. س»: سوف نلتقي عند الزحافات.

تقدم بسرعة وخلفه «إلهام» و«فهد»، وعندما نظر في اتجاه الزحافات رأى الدب الأبيض يجلس بجوارها ... ابتسم وأشار إلى «فهد» و«إلهام» قالت: لو أستطيع الحصول على فرو هذا الدبِّ! ... ضحك «أحمد» وقال: فرو القيادة أثمن ... وأخرج «فهد» مسدَّسه

ثم أطلق إبرةً مخدرةً أصابت الدب في رقبته فترنح الدب قليلًا ثم وقع على الأرض ... تقدم الثلاثة في نفس اللحظة التي ظهر فيها «رشيد» و«قيس»، فركبوا الزحَّافات. كان «أحمد» يسير في المقدمة وحده وخلفه الباقون ... حدَّد «أحمد» اتجاه السير عن طريق البوصلة الصغيرة التي يحملها، وظلوا يتقدمون ... كانت الجبال تحيط بالطريق الثلجي، فبدا المنظر كأنه لوحة جميلة، هم جزء منها ... أخرج «أحمد» جهاز اللاسلكي ووجه موجته على نفس الموجة التي كان يرسل عليها الرجال. لحظات ثم التقط الجهاز رسالة: إلى المجموعة «ب» إلى المجموعة «ب». قيادة «النجوم العشرة» تتحدث. ظهرت السعادة على وجه «أحمد»، فأوقف الزحافة، فوقفت الزحافتان الأخريان وأشار «أحمد» إلى الشياطين، فنزلوا جريًا والتفُّوا حوله، وبدأ يُترجم لهم الرسالة ... كان الجهاز لا يزال يلتقط النداءات: قيادة «النجوم العشرة» تتحدث إلى المجموعة «ب» ... إلى المجموعة «ب»: هل تسمعني؟ أجب. ظهرت السعادة على وجه الشياطين. قال «رشيد»: إنها فرصةٌ نادرةٌ ... ظل الجهاز يرسل نداءاته ... إلى المجموعة «ب» إلى المجموعة «ب» ... قيادة «النجوم العشرة» تتحدث هل تسمعني؟ ... أجب ... فجأة انقطع الإرسال. قال «أحمد»: لا بد أنهم سوف يرسلون على الموجة الأخرى، لاتجاه آخر ... ظل يدير أزرار الجهاز واحدًا وراء الآخر، فالتقط رسالة: قيادة «النجوم العشرة» تتحدث. قيادة «النجوم العشرة» تتحدث إلى المجموعة «هـ»، المجموعة «هـ» هل تسمعني؟ أجب. لحظة ثم سمع رسالة: من المجموعة «هـ» إلى قيادة «النجوم العشرة» ... من المجموعة «هـ» إلى القيادة ... نعم أسمعك. ردَّت القيادة: من القيادة إلى «هـ» اتجه إلى المجموعة «ب».

رفع الشياطين أصابعهم بعلامة النصر ... ثم انطلقوا في نفس الاتجاه الذي حدَّدته البوصلة، بعد قليلٍ، أخرج جهاز الإنذار، وما إن أداره حتى لمعت اللمبة الحمراء.

قال «أحمد»: لقد اقتربنا تمامًا يجب أن نغادر الزحافات.

نزل الشياطين بسرعة، ثم بدءوا تقدمهم في اتجاه القيادة، تبعًا لعلامات جهاز الإنذار ... كان أمامهم جبل ضخم من الثلج، وكانت هناك عدة طرق تلتف حوله ... قال «أحمد»: سوف أتقدم أنا و«فهد» ... وأنتم تسيرون خلفنا بسرعة أقل ... ولتكن الرسالة هي طريق الاتصال بيننا.

تقدَّم «أحمد» و«فهد»، وانتظر بقية الشياطين قليلًا ... اتجها إلى يمين الجبل، كانت اللمبة الحمراء لا تزال مُضاءةً، فحاذوا الجبل تمامًا ... أرسل جهاز الإنذار صفيرًا رفيعًا رقيقًا ... قال «أحمد»: إننا في المكان. واستمَرَّا في سيرهما حتى صمت جهاز الإنذار، قال

«أحمد»: لقد ابتعدنا! ... عاد إلى نفس المكان مرةً أخرى، فعاد الصوت الرفيع ... وقف الاثنان ينظران إلى الجبل المرتفع قال «أحمد»: لا بد أن نهر «تنجوسكا» هو أحد هذه الطرق لكنه متجمِّد الآن ... أرسل رسالة إلى بقية الشياطين: من «ش. ك. س» إلى «ش. ك. س» تقدموا اتجاهنا ... فجأة ... فُتح الجبل تحركت كتلة بيضاء في حجم باب صغير انبطح «أحمد» و«فهد» بسرعة على الأرض ... ظهر رجل متقدم في السن، يلبس نظارة سوداء. همس «أحمد»: إنه «ماريوتي».

أغلق الباب خلفه ... وقف «ماريوتي» ينظر حواليه لحظةً. تقدَّم «أحمد» بسرعةٍ زحفًا، وتبعه «فهد»، واقتربا تمامًا من «ماريوتي»، مشى «ماريوتي» مبتعدًا عن مكانه ثم فتح الباب مرةً أخرى، وظهر رجل آخر، كان هو «كوبناخ» نظر في اتجاه «ماريوتي»، ثم تبعه. أغلق الباب، وعاد الجبل لا يشكُّ أحد أبدًا أن بداخله شيءٌ ... انضمَّ «كوبناخ» إلى «ماريوتي» ... كانا يقفان على بُعد خمسين مترًا من «أحمد». قال همسًا إلى «فهد»: يجب أن يقوم الشياطين بحركة التفاف سريعةٍ.

أرسل رسالة إلى الشياطين: من «ش. ك. س» إلى «ش. ك. س» ... اتجهوا إلى الناحية الأخرى ... ثم زحف هو و«فهد» حتى أصبحا بجوار الباب تمامًا، وفتح الباب في نفس اللحظة، فلم يستطيعا الحركة ... ظهر رجل رفيع الجسم ما إن رآهما حتى صرخ، واختفى في الداخل.

أغلق الباب وحده ... التفتَ «كوبناخ» و«ماريوتي» ... الآن أصبحوا وجهًا لوجهٍ. صرخ «كوبناخ»: من أنتم؟ في نفس اللحظة كانت مجموعة «رشيد» خلف الرجلين تمامًا ... أخرج «رشيد» مسدَّسه، ثم تحدث: ارفعا أيديكما وإلا أطلقتُ النار. ودون أن يلتفت أحدهما، رفعا أيديهما ... تقدم «رشيد» حتى وضع مسدسه في ظهر «ماريوتي» ... كان «قيس» و«إلهام» متأخِّرَين قليلًا، انتظارًا لأية حركة ... قال «رشيد»: تقدَّما ... قال «ماريوتي»: ماذا تريدون؟ صاح «أحمد»: سوف تَعرِف بعد قليل! لم يكد «أحمد» يقول جملته حتى فُتح الباب، فقفز الشياطين مُبتعِدين ... فقد انطلقت حزم ضخمة من النيران في اتجاههم ... انبطح «ماريوتي» و«كوبناخ» على الأرض، وانبطح بجوارهما «رشيد»، ودار «كوبناخ» دورةً كاملةً على الأرض، ثم ضرب «رشيد» فوقع المسدس من «رشيد» ... غير أن «قيس» كان أسرع ... فقد قفز قفزةً واسعةً أصبح بعدها فوق «ماريوتي» ولكنه ضربه ضربةً قويةً جعلت «ماريوتي» يصرخ، بينما كان «إلهام» قد اشتبكت مع «كوبناخ»، الذي عاجلها بضربةٍ قويةٍ ... غير أنها استطاعت أن تتفادى اصطدام رأسها بالأرض.

خرج الجميع من باب الجبل، وصاح «أحمد»، دفعة واحدة توالت القنابل اللاصقة على الجبل، ثم بدأت الانفجارات ... كان «كوبناخ» قد اختفى ... زحف «أحمد» بسرعة مع «رشيد» وتبعه «فهد»، أصبح الشياطين مجموعة واحدة تخرج من باب الجبل غريبة ... قال «أحمد»: إنهم يستخدمون النيران حتى يجري النهر ... فجأة ... بدأت الثلوج تذوب تحت أقدامهم، فصاح «قيس» إننا فوق نهر «تنجوسكا» ... فقفزوا مبتعدين عن مجرى المياه التي اندفعت كالشلال وتساءل «أحمد»: أين «ماريوتي»؟ أشار «رشيد» إلى يمينه وقال: ها هو خلفي على الأرض ... قال «أحمد»: إذن لقد اختفى «كوبناخ» ... لا يهمُّ ... الآن يجب تفجير الجبل ...

زحف الشياطين متشبِّثين بخناجرهم في الثلوج، حتى اقتربوا من باب الجبل، الذي كانت النيران لا تزال تخرج منه. قال «أحمد»: دفعتان متتاليتان.

أخرج الشياطين قنابل شديدة الانفجار، ومع عد «أحمد» واحد. اثنان. ثلاثة، ألقوا قنابلهم داخل باب الجبل ... ثم بدءوا يُجهِّزون مجموعة أخرى، ومع انتهاء العد ألقوا القنابل. لحظةً، ثم سُمع دويٌّ هائلٌ، فألقوا أنفسهم في النهر الذي كان مندفعًا في سرعةٍ رهيبةٍ، فنقلهم التيار بعيدًا ... غير أنهم بعد لحظة استخدموا خناجرهم، وبدءوا يصلون إلى ضفة النهر، حتى خرجوا منه ووقفوا ينظرون في اتجاه الجبل. لقد اختفى تمامًا، وظهرت كتلةٌ سوداء، مشتعلةٌ ... قال «أحمد»: إنه مقر «النجوم العشرة». وتقدموا في بطءٍ فرأوا «كوبناخ» مُلقًى على الأرض في حالة إغماءٍ، وأبصروا مجموعات من الرجال تخرج مشتعلة من الجبل، الذي ذاب.

كان المنظر غريبًا تمامًا ... كانت عبارة عن كتلة سوداء مستقلة، وسط الثلوج البيضاء. أرسل «أحمد» رسالة إلى رقم «صفر»: من «ش. ك. س» إلى رقم «صفر» ... لقد تمت المهمة، تحت أيدينا الآن «كوبناخ»، والمقر القيادي لا يزال مشتعلًا.

ردَّ رقم «صفر» سريعًا: من رقم «صفر» إلى «ش. ك. س» ... البوليس الدولي في الطريق إليكم ... تحياتي.

وقف الشياطين يرقبون المنظر المثير ... ولم تمضِ لحظاتٌ حتى ظهرت طائرتان تحومان حول المكان.

رفع الشياطين أيديهم علامة النصر ... فلقد انتهت المهمة.

هنـــداوي